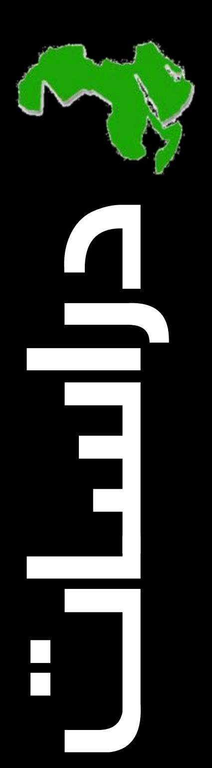
جلال فاروق الشريف



الوحــدة العربيــة والتحديات الراهنة



دراسات في القومية العربية

95







في سبيل مجتمع عربي موحّد حُرّ وديمقراطي

دراسات في القومية العربية























الوحدة العربية والتحديات الراهنة

جلال فاروق الشريف

ثمة مفارقة أساسية تكشف عنها الظروف الراهنة لمجمل النضال العربي وتكاد أن تكون تعبيراً عن مأزق تاريخي يمر بـه هذا النضال ، هذه المفارقة هي أنـه بمقدار ما تفرض الشروط الموضوعية الراهنة للتحديات الخطيرة التي يواجهها النضال العربي في هذه المرحلة ، أن تكون الوحدة العربية هي الرد الحاسم على هذه التحديات ، فإن هذه الشروط الموضوعية نفسها ، تجعل الوحدة العربية في هذه المرحلة بالذات الهدف الأبعد عن التحقق من أهداف القضية العربية .



فلئن استطاعت حركة التحرر الوطني العربية بمختلف فصائلها خلال السنوات العشرين الأخيرة أن تحقق مكاسب هامة على طريق الاستقلال الوطني والتحرر من الاحتلال الأجنبي والنفوذ الاستعماري ، وأن تنجز تحولات لا تقل أهمية على طريق التقدم الاقتصادي – الاجتماعي في بعض الأقطار العربية ، فانها على طريق الوحدة العربية لم تحرز اي تقدم مماثل .

لقد كان من أبرز ما كشفت عنه الممارسات النضالية لحركة التحرر الوطني العربية هو تلك العلاقة الجدلية بين أهداف الوحدة العربية والحرية والاشتراكية . وكانت وحدة عام ١٩٥٨ بين مصر وسورية محاولة لدفع هذه العلاقة الى مرحلة اكثر تقدماً . غير أن هذه العلاقة قد تعطلت منذ ذلك التاريخ . وفي ضوء هذه الواقعة الأساسية يمكن تفسير النكسة التي أصابت حركة التحرر الوطني العربية وأدت الى تشتتها الى نضالات متفرقة، وعجزها عن مواجهة التحديات الخطيرة المفروضة عليها ، فهذه التحديات مهما كانت كبيرة ، ليست موضوعياً أكبر حجماً من الامكانات الثورية للجماهير العربية وللوطن العربي . أو على الأقل ليست هذه الامكانات مجتمعة ، لجماهير العربية والوطن العربي ، بأقل من الامكانات النضالية للشعوب الاخرى الصامدة في وجه الامبريالية العالمية . وان واقعة تعطل العلاقة الجدلية بين أهداف الوحدةالعربية والحرية والاشتراكية هي التي تجعل من هذه الامكانات أضعف من التحديات التي تواجهها .

ولئن كانت جميع فصائل حركة التحرر الوطني العربية تحمل بصورة مشتركة مسؤولية تعطل هذه العلاقة ، فان هذا لا ينفي الأسباب الموضوعية التي أدت الى ذلك. وبالمقابل ، فان جميع فصائل حركة التحرر الوطني اذا كانت مسؤولة عن إعادة العلاقة الجدلية بين أهدافالقضية العربية الىحركتها، أي الى التقدم على طريق العمل الوحدوي، فان هذا يوجب في الوقت نفسه ممارسة النضال الجاد من أجل توفير ظروف موضوعية أكثر ملاءمة للعمل الوحدوي .

... ان هذا كله هو منطلق هذه الدراسة لأنه حصيلة محاولة استقراء الوضع الراهن للواقع العربي في ضوء مسيرته خلال السنوات العشرين الاخيرة .

- ١ -

تواجه حركة التحرر الوطني العربية منذ الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ تحديات خطيرة لم يسبق لها أن واجهت مثلها في تاريخ نضالها الطويل الذي يمتد الى اكثر



من نصف قرن . ومرور أكثر من خمس سنوات على حرب حزيران لم يخفف من حدة هذه التحديات ، بل ان الظواهر كلها تشير الى أن هذه التحديات ما برحت تتصاعد وتزداد حدة حتى بلغت في الفترة الراهنة أوجاً لم تبلغه من قبل . وتتمثل هذه التحديات بصورة رئيسية في شقين : الأول هو تصميم المعتدين الاسرائيليين وحلفائهم الامبرياليين الاميركيين على تصفية القضية الفلسطينية نهائياً والاحتفاظ بالأراضي المحتلة بعد الخامس من حزيران . والثاني هو محاولة قمع حركة التحرر الوطني العربية بجميع طلائعها وفصائلها على امتداد الوطن العربي كله والبطش بها وتصفيتها بمختلف الأشكال والوسائل بما في ذلك المجازر الجماعية والتصفيات الجسدية الفردية. وتتحالف مع المعتدين الاسرائيليين والامبرياليين الاميركيين قوى الثورة المضادة التي برزت بعد الخامس من حزيران وأخذت تلعب دوراً متزايد الشراسة ضد حركة التحرر الوطني العربية بجميع فصائلها حتى ليمكن القول ان الامبرياليين الاميركيين والمعتدين الاسرائيليين المتحالفين مع قوى الثورة المضادة في الوطن العربي ، أخذوا ينقلون المعركة الى ارض حركة التحرر الوطني العربية نفسها في العديد من الأقطار العربية بدءاً من مجازر ايلول الأسود في الاردن عام ١٩٧٠. ان انتعاش قوى الثورة المضادة في الوطن العربي وانتقالها الى مرحلة الهجوم على قوى التحرر الوطني يمكن أن يعتبر من أبرز سمات المرحلة الراهنة .

على هذا الأساس يمكن القول ان حركة التحرر الوطني العربية التي نمت منذ عام ١٩٥٥ وخاضت سلسلة من المعارك الفاصلة الناجحة ضد الامبريالية الأميركية ومواقع النفوذ الاستعماري في أجزاء عديدة من الوطن العربي وبخاصة في سورية ومصر بدأت تواجه منذ الخامس من حزيران هجمة استعمارية شرسة مستمرة على جميع الجبهات ، أداتها الرئيسية في الشرق العربي هي اسرائيل وقوى الثورة المضادة في جميع أرجاء الوطن العربي ، وان حركة التحرر الوطني العربية انتقلت منذ انفصال ايلول عام ١٩٦١ وسقوط دولة الوحدة بين مصر وسورية الى مرحلة الدفاع وانها منذ حزيران ١٩٦٧ دخلت مرحلة التراجع .

ولا تنفرد حركة التحرر الوطني العربية بهذا الموقف. فهذه الهجمة الشرسة على وطننا جزء من مخطط اميركي عالمي يستهدف وقف حركة التحرر الوطني التي شملت معظم بلدان العالم الثالث وأخذت توجه تهديدات حاسمة لمصالح الامبريالية العالمية ومواقع



ولا تنفرد حركة التحرر الوطني العربية بهذا الموقف. فهذه الهجمة الشرسة على وطننا جزء من مخطط اميركي عـالمي يستهدف وقف حركة التحرر الوطني التي شـملت معظم بلدان العالم الثالث وأخذت توجه تهديدات حاسمة لمصالح الامبريالية العالمية ومواقع نفوذها . وقد استطاعت هذه الهجمة الامبريالية في السنوات العشر الأخيرة أن تصفي العديد من حركات التحرر الوطني في بلدان العالم الثالث في آسـيا وافريقيا وامـيركا اللاتينية وسط حمامات دموية رهيبة ، مستخدمة في ذلك جميع الوسائل المتاحة بما في ذلك التدخل المسـلح ضد الأنظمة الوطنية والتقدمية وتنظيم الثورات المضادة ودعم الأنظمة العميلة والرجعية واستخدامها كأداة ضد الأنظمة المتحررة .

وعلى الرغم من أن حركة التحرر الوطني العربية كانت في رأس اللائحة السوداء للحركات الوطنية التي وضعتها الامبريالية الاميركية برسم التصفية ، وعلى الرغم من أن هذه التصفية وضعت برسم التنفيذ منذ بضع سـنوات ، وتم بالفعل الفتك بعـدد من فصائلها ، فان حركة التحرر الوطني العربية رغم وقوفها موقف المدافع أمام هذه الهجمة الامبريالية الشرسة ، ورغم التراجعات التي أصابتها أمام ضغط هذه الهجمة في بعض المناطق العربية ، فانهـا في قطرين أساسيين من أقطارها التقدمية الواقعة على خط المواجهـة العسكرية المباشرة مع الامبريالية الاميركية ممثلة في دولة المعتدين الاسرائيليين ، ماتزال صامدة تحاول مواجهة التحديات ، وانه على صمود هذين القطرين يتوقف الى حد بعيد مصير حركة التحرر الوطني العربية كلها . ذلك أنهما بدرجة التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي التي حققاها ، وبالتاريخ النضالي لحركة التحرر الوطني فيهما الذي واجه تحديات شرسة ومؤامرات خطيرة واعتداءات مسلحة بخاصة في السنوات العشرين الأخيرة ، أي بما يمثلانه من ثقل كمي ونوعي في حركة التحرر الوطني العربية المعادية للاستعمار وذات الآفاق الاشـتراكية ، هما بمثابة القلب من حـركة التحرر الوطني العربية . وكما أن انتصاراتها في السنوات العشرين الأخيرة كانت بمثابة المفتاح لانتصارات فصائل التحرر الوطني في الأقطار العربية الاخرى على امتداد الوطن العربي كله ، في قلبه وأطرافه ، فان تزعزع صمودها سيكون بمثابة مفتاح للشلل قوى حركة التحرر العربية وخروجها الى أمد طويل من ساحة الصراع ضد الامبريالية العالميـة الذي تخوضه حركة التحرر العالمي . ان انتصار الامبريالية الاميركية على حركة التحرر العربية في هجمتها الشرسة الراهنة لن يكون ضربة لحق الشعب العربي في الحياة والتحرر والتقدم فحسب ، وإنمـا لحركة التحرر العالمية كلها ولجميع القوى المعادية للامبريالية العالمية .

على الرغم من مرور أكثر من ٥ سنوات على حرب حزيران عام ١٩٦٧ وعلى كل ما عقد من آمال بعد ذلك التاريخ وخلال هذه السنوات الخمس على تحرير الأرض المحتلة، فان أية نتائج ايجابية لم تتحقق . فالتحديات ما تزال قائمة ومستمرة وتزداد شراسة . والمعركة في بعض الاقطار العربية انتقلت الى ساحتها الداخلية بفعل الثورة المضادة. وليس ثمة أية مؤشرات على ان تصفية آثار العدوان وشيكة في مستقبل متطور . وان حالة « اللاسلم واللاحرب » التي أصبحت تطلق على المرحلة الراهنة تؤكد ان حركة التحرر الوطني العربية تكاد تكون في مأزق لا مخرج لها منه في الوقت الحاضر على الأقل .

كان المطلوب منذ حزيران عام ١٩٦٧ على الأقل ، أن تجري على ضوء نتائجه مراجعة شاملة جادة لميزان حسابات النضال العربي لا لمعرفة من هو المخاطب في حزيران وتحديد المسؤوليات فحسب بالنسبة الى جميع فصائل حركة التحرر الوطني العربية كل على أساس الموقع الذي هو فيه ، وانما أيضاً لاعادة تقييم الموقف كله ومن الأساس . ولقد جرت بالفعل أكثر من مراجعة واحدة ، وعلى الرغم من أن هذه المراجعات تمت في السر وفي العلن وكانت لها نتائجها الملموسة على أصعدة مختلفة ، الا أن استمرار مناخ حزيران الذي تعبّر عنه صيغة «لا سلم ولا حرب» وبقاء نتائج العدوان قائمة رغم مرور أكثر من خمس سنوات ، يقدم دليلاً لا يدحض على أن هذه المراجعات لم تعط أية نتائج عملية . وما لم تجر مراجعة جذرية في مناخ من الشعور الكامل بالمسؤولية التاريخية عن وجود حركة التحرر الوطني العربية ومصيرها الى أجيال عديدة، لن يتاح للنضال العربي أن يدخل مرحلة تحول حاسمة تضعه على مستوى التحديات التي تواجهه .

ان جوهر هذه المراجعة يجب أن يتم في ضوء ادراك كامل مسؤول للعلاقة الجدلية بين الأهداف الأساسية المتلاحمة لهذا النضال المتمثلة في الوحدة والحرية والاشتراكية وبين المعطيات الرئيسية للظروف الموضوعية التي يجري ضمنها هذا النضال . وهذه المعطيات هي :

- الوضع الراهن للنضال العالمي ضد الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الاميركية .
- الظروف الموضوعية للتطور الاقتصادي - الاجتماعي للمجتمعات العربية التي يمارس من خلالها النضال العربي .



– واقع فصائل حركة التحرر الوطني العربية وممارساتها وآفاقها النضالية .

ان استعراض هذه المعطيات ليس مسألة يسيرة فضلاً عن أنه ليس هدف هذه الدراسة . الا أنه لابد مع ذلك من محاولة القاء بعض الأضواء عليها .

– ٣ –

تواجه حركة النضال العالمي ، من أجل التحرر والتقدم منذ مطلع الستينيات ، كما سبقت الاشارة الى ذلك هجمة امبريالية شرسة بقيادة الولايات المتحدة الاميركية تستهدف تصفية حركات التحرر الوطني التي نمت وتعاظم نضالها في الخمسينيات في بلدان العالم الثالث . ويمكن التاريخ لبدء هذه الهجمة بمعركة خليج الخنازير التي استهدفت تصفية الثورة الكوبية وبحادثة خليج « تونكين » التي كانت بداية التدخل الاميركي ضد جمهورية فيتنام الديموقراطية . أما بالنسبة الى حركة التحرر الوطني العربية فيمكن اعتبار انفصال وحدة مصر وسورية في ايلول ١٩٦١ بداية لهذه الهجمة .

لقد ظهرت الولايات المتحدة الاميركية بعد الحرب العالمية الثانية كوريث النظام الاستعماري القديم وكقائد لمعسكر الامبريالية العالمية . وعلى الرغم من مرور أكثر من خمسين عاما على قيام ثورة اكتوبر وتأسيس أول دولة اشتراكية في العالم ، ومن مرور أكثر من خمسة وعشرين عاماً على ظهور الأسرة الاشتراكية ، وعلى الرغم من تعاظم النضال العالمي من أجل التحرر والتقدم . .على الرغم من هذا كله فان الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الاميركية ما تزال تسيطر على أكثر من نصف الكرة الأرضية وتنهب موارده لاسيما بلدان العالم الثالث . ومن أجل المحافظة على سيطرتها ترتكب الامبريالية العالمية أبشع الجرائم ضد الشعوب المكافحة للتحرر والتقدم ولا تتورع عن العدوان المسلح على هذه الشعوب والتآمر عليها بمختلف الوسائل والأساليب وتقدم حرب فيتنام صورة صارخة لهذا كله . وتضع الامبريالية العالمية وبخاصة الولايات المتحدة الاميركية تقدمها التكنولوجي في خدمة أهدافها العدوانية وتزداد مخططاتها شراسة حتى لتكاد لا تجد قوة رادعة تقف في وجهها . واستناداً الى الاحصاءات العالمية الموثوقة فان النهب الاميركي للعالم كله وفي مقدمته بلدان العالم الثالث لم يتناقص بل هو في تزايد مستمر وان هوة كبرى قد لا تعبر أبداً تقوم بين الدول الامبريالية المتقدمة الغنية ودول العالم المتخلفة الفقيرة . ان كل مظاهر الاستقلال السياسي وظهور الدول الجديدة الناشئة



وتعاظم نضـال الشعوب لم يؤثر في جوهر عـلاقات النهب والاستغلال التي تمارسها الامبريالية العالمية .

ان هـذا يعني أن الخصم الرئيسي لحرية الشعوب وتقدمها الحقيقي ما يزال هو الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الاميركية، وأن أية استراتيجية للتحرر الوطني والتقدم لأي شعب من الشعوب وعند أية حركة من حركات التحرر الوطني لا تضع نصب عينيها أن التناقض الرئيسي في عالمنا المعاصر هو بـين الامبريالية العالمية والولايات المتحدة الاميركية من جهة ، وبين جميع الشعوب المتطلعة الى التحرر والمعادية للامبريالية من جهة أخرى ، لا يمكن أن تكون الا " مصابة بالعمى السياسي .

ويترتب على تقرير هذه المعطاة الأساسية في الاستراتيجية النضالية لأية حركة من حركات التحرر الوطني نتائـج بالغة الخطورة يمكن اجمالها في الضرورات التالية :

١ ـ تحالف جميع حركات التحرر الوطني في العالم كله للوقوف في وجه الامبريالية العالمية ، تحالفاً فعالاً على أسس استراتيجية ثابتة .

٢ ـ تضامن حركات التحرر الوطني مع الدول المعادية للامبريالـية وفي مقدمتها دول الاسرة الاشتراكية .

٣ ـ اعطاء التحرر الذي حققته البلدان الحديثـــة الاستقلال مضمونه الاقتصادي وانهاء علاقات النهب الامبريالي بالخروج من السوق الرأسمالية ، وبناء اقتصاد وطني والتطلع الى آفاق اشتراكية .

٤ ـ تعزيز روح التضامن الامي بين الشعوب المضطهدة والدول المعادية للامبريالية وعزل جميع القوى في الداخل المرتبطة بالامبريالية العالمية وتصفيـــة هذه القوى نهائياً .

ان هـذه المعطاة الأساسية كانت وستظـل الى أمـد طويل حجر الزاوية في استراتيجية أية حركة من حركات التحرر الوطني في العالم كله . والانتصارات الهامة التي حققتها حركة التحرر الوطني العربية في الخمسينيات ترجع الى انها اكتشفت هذه الحقيقة من خلال ممارسة النضال الوطني ضد الاستعمار والامبريالية العالمية ، ووضعهـا موضع التنفيذ بقيـادة حزب البعث العربي الاشتراكي في سورية وبقيادة ثورة ٢٣ يوليو في



مصر . وقد جدد مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥ تحالف حركات التحرر الوطني في آسيا وافريقيا،ومثل التعاون الاقتصادي والسياسي والعسكري مع الاتحاد السوفياتي التضامن بين هذه الحركات وبلدان الأسرة الاشتراكية . وأعطى هذا كله لحركة التحرر الوطني العربية انطلاقتها في الخمسينيات ورفعها الى مصاف حركات التحرر الكبرى المعاصرة وأتاح لها أن تحبط حلف بغداد عام ١٩٥٥ وتحبط العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وتلحق الفشل بمبدأ ايزنهاوو عام ١٩٥٧ وان تحقق أول خطوة وحدوية في تاريخ النضال العربي المعاصر عام ١٩٥٨ باقامة وحدة مصر وسورية، وان تصفي من الداخل القوى السياسية المرتبطة بالامبريالية وان تقضي في ١٩٦١ على مرتكزاتها الاقتصادية بانجاز الاصلاح الزراعي وبتأميم المنشآت الصناعية . ان هذا كله حوّل حركة التحرر الوطني العربية في مصر وسورية الى ركيزة أساسية للتحرر في جميع الاقطار العربية ومهد لانتصارات لاحقة حققتها على الرجعية والاستعمار والامبريالية بخاصة في العراق والجزائر واليمن .

ان الدرس الأساسي الذي تعطيه التجربة النضالية في الخمسينيات لحركة التحرر الوطني العربية ولجميع حركات التحرر الوطني في العالم هو انه مالم تصفّ المرتكزات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في الداخل للرجعية والاستعمار والامبريالية ، وما لم تتحالف مع حركات التحرر الوطني في العالم، وما لم تتضامن مع الدول المعادية للاستعمار والامبريالية وفي مقدمتها البلدان الاشتراكية ، فانه لا يتوقع لحركات التحرر الوطني عمراً مديداً وانتصارات أساسية على اعدائها . وهذا الدرس لم يستخلص من ظروف تجربة نضالية مرحلية وانما هو معطاة أساسية في صلب الاستراتيجية العامة للنضال الوطني لحركات التحرر في العالم كله. انه توكيد على علاقة جدلية موضوعية بين النضال الوطني وبين النضال العام العالمي ضد الرجعية والاستعمار والامبريالية العالمية وكل ما يمثله تحالف هذه القوى المعادية لتحرر الشعوب وتقدمها. فالنضال الوطني يتعزز بمقدار ارتباطه بالنضال العالمي، والنضال العالمي بدوره يترسخ بمقدار انتصار النضال الوطني. وان قطع هذه العلاقة الجدلية بين النضالين كان وما يزال هدف جميع القوى المعادية للشعوب.

يعتبر انفصال ايلول عام ١٩٦١ بداية للهجمة الامبريالية الراهنة على حركة التحرر الوطني العربية . وحرب حزيران ١٩٦٧ تمثل مرحلة عليا من مراحل هذه الهجمة الامبريالية . ان أي تقييم لأهداف الانفصال على غير هذا الأساس خطأ فادح . فقد كان من العسير ان يتوصل الامبرياليون وحلفاؤهم الاسرائيليون الى تحقيق ما حققوه في حزيران ١٩٦٧ لو كانت دولة الوحدة قائمة تضم القطرين الأساسيين الواقعين



على خطوط المواجهة مع العدو وبكل امكاناتها البشرية والاستراتيجية والعسكرية . كما كان من العسير على الرجعية العميلة في الاردن أن تنفرد بشعبه وبقوى المقاومة فيه وتفتك بها ، وتعطي الأمان والاستقرار للعدو على أوسع خطوط المواجهة العسكرية معه. ان استقرار دولة الوحدة وتوطدها وتطورها بعد تصفية المرتكزات الاقتصادية للرجعية المحلية في يوليو عام ١٩٦١ بواسطة التأميمات كان كفيلا بايجاد قاعدة وطنية صلبة لحركة التحرر الوطني العربية كلها تفتقدها اليوم أشد الافتقاد. ان الذين قبلوا الانفصال، كانوا اما وطنيين عجزوا عن ادراك ما سيجره الانفصال من آثار سلبية خطيرة على حركة التحرر العربي كلها ، واما رجعيين وعملاء وجدوا في الانفصال وسيلة لاستعادة مواقعهم المنهارة المعادية لمصالح الجماهير العربية وقضيتها ، كما يجدون ذلك اليوم ايضاً في نتائج حرب حزيران ، هذه الحرب التي يريد الامبرياليون وحلفاؤهم الاسرائيليون تكريس نتائجها كأعلى أشكال الانفصال وكهزيمة نهائية ساحقة لحركة التحرر الوطني العربية ولآفاقها التقدمية الاشتراكية .

ومهما تكن فداحة الاخطاء الداخلية ودرجة السلبيات التي ساعدت على تقويض وحدة عام ١٩٥٨ ، فانها لا يمكن ان تكون من منظور عربي وطني تقدمي مساوية للنتائج الخطيرة التي أدى اليها الانفصال بالنسبة الى حركة التحرر العربي . ان النظر الى هذه الاخطاء والسلبيات من منظور عربي وطني تقدمي يتناقض كلياً مع النظر اليها من منظور رجعي لا وطني. ولا يمكن لهذين المنظورين ان يلتقيا . وان التقيا في وثيقة واحدة تعترف بالانفصال وتبرره ، فقد كان هذا من المنظور العربي الوطني التقدمي خطأ تاريخيـاً فادحاً ، ومن المنظور الرجعي اللاوطني تمهيداً للخامس من حزيران .

لقد كان للانفصال في مخططات الامبرياليين والاسرائيليين والرجعيين أهمية تعدل أهمية الوحدة بالنسبة الى حركة التحرر الوطني العربية . أي انه كان منعطفاً رئيسياً ونقطة تحول حاسمة ، تتجلى اليوم ابعادها كلها بوضوح تام . انه من منظور استراتيجية النضال العربي قد عطل تماماً العلاقة الجدلية بين أهداف التضية العربية عندما فصل هدف التحرر والتقدم عن هدف الوحدة العربية وخلق الوهم بامكانية متابعة السير على طريق التحرر والتقدم من دون مسيرة مماثلة لها وملتحمة معها على طريق



الوحدة . وانه لوهم مماثل ايضاً الاعتقاد بانه من الممكن متابعة السير على طريق الوحدة العربية مع وقف الكفاح ضد الامبرياليين والاسرائيليين والرجعيين، هذا الكفاح الذي هو المضمون الحقيقي للتحرر والتقدم. ان الدرس الحاسم الذي يمكن ان يستخلص من تجربة الوحدة والانفصال بين عـامي ١٩٥٨ و ١٩٦١ هو انه من أجل ممارسة نضال جـاد وحاسم ضد هذه الهجمة الامبريالية الاسرائيلية الرجعية الراهنة لابد من اعادة العلاقة الجدلية بـين أهداف القضية العربية الى حركتها ، أي الى التقدم على طريق العمـل الوحدوي . والمنطلق الى ذلك لا يمكن ان يكون الا بتوفير الظروف الموضوعية الملائمة لذلك ، وفي مقدمتها يجيء توحيد النضال العربي . وتوحيد هذا النضال لا يمكن ان يتم الا اذا اعترف سلفاً بوحـدة مصير حركة التحرر الوطني العربية بجميع فصائلها ، وبأن الامبرياليين والاسرائيليين والرجعيين هم الأعداء الرئيسيون لهذه الحركة ، وانه لا مهادنة لهم ولا مساومة معهم ، وان الخروج من واقع نتائج حرب حزيران لا يمكن ان يتم الا بمواصلة الكفاح ضد المخططين لهذه الحرب وصانعي نتائجها والمستفيدين منها وتحمل جميع التضحيات التي تترتب على هذا الكفاح .

- ٥ -

اذا كانت الامبريالية العالميـة هي الخصم الرئيسي لحـركة التحرر الوطني العربي ولجميع حركة التحرر الوطني في العالم باسره ، فانه لمتابعة خوض المعركة ضدها على المستوى نفسه من الشدة التي تتحدى بـه حركات العالم ، لا بد من اعادة تقييم الوضع الراهن للنضال العالمي ضد الامبريالية .

تميزت الخمسينات بنمو حركات التحرر الوطني وتعاظم نضالها وتحقيقها انتصارات عديدة وأساسية على الاستعمار والامبرياليـة في آسيا وافريقيا بخاصة انطلاقاً من مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥ وظهور كتلة دول عدم الانحياز . وشهدت الستينات هجوماً شاملاً شنته الامبريالية الاميركية على هذه الدول يمكن ان يعتبر ثورة مضادة على نطاق عالمي . ان هـذه الهجمة تمثل المحاولة التي قام بها الاستعمار الجديد لوقف نضال شعوب هـذه الدول من أجل استكمال تحررها وبخاصة الحيلولة دون ان يأخذ هذا التحرر أبعاده الاجتماعية والاقتصادية ، أي ان يتحول



الى نضال لتصفية المصالح الاقتصادية للامبريالية العالمية ووقف نهبها لثرواتها من المواد الاولية . ان الامبريالية الاميركية تمثل امبراطورية اقتصادية ـ عسكرية يقوم كيانها بالاساس على نهب المواد الاولية من بلدان العالم الثالث . وتدل الاحصاءات على أن تحرر هذه البلدان السياسي والاقتصادي من سيطرة الامبريالية الاميركية ومن النهب الاقتصادي الذي تمارسه ضدها هو بمثابة ضربة قاصمة الى هذه الامبراطورية الاقتصادية ـ العسكرية التي تعيش من نهب المواد الاولية . والئن استطاعت الامبريالية الاميركية ان تحقق معظم أهدافها في هذه الهجمة فان هذا لا يرجع الى شراسة الامبريالية وضراوتها فحسب وانما الى مجمل الشروط الاجتماعية والاقتصادية التي نمت من خلالها حركات التحرر الوطني وتطورت ، هذه الشروط التي تتميز بالتخلف الشديد .

ان التباس البنية الطبقية لهذه الحركات وعدم ارتكازها الى قواعد جماهيريه واسعة منظمة وغموض منطلقاتها الايديولوجية وعدم التزامهاباستراتيجية ثابتة معادية للامبريالية مكمن الامبرياليةالاميركيةمستعينة بقوى الثورة المضادة من توجيهضربةقاصمة الى هذه الحركات. يضاف الى ذلك ان ماطرأ من انقسام داخل صفوف المعسكر الاشتراكي منذمطلع الستينيات وتخلخل بعض مواقعه وضعفها الى درجة التعرض لامكانية ثورة مضادة ، اعطى الامبريالية الاميركية فرصة حاسمة لتوجيه ضرباتها الى حركات التحرر الوطني خارج نطاق المعسكر الاشتراكي حتى ليمكن القول ان هذه الحركات واجهت الهجمة الامبريالية وهي شبه عزلاء من أية مساندة خارجية . لقد تحول العالم الثالث الى شبه مزرعة للامبريالية الاميركية تتصرف فيها نهباً وبطشاً وارهاباً دون رادع جدي .

ان هذا الوضع طرح سؤالاً خطيراً حول مستقبل النضال العالمي ضد الامبريالية. وهذا السؤال اثار في وقت واحد مسائل ايديولوجية واستراتجية تتعلق بالثورة العالمية، ليست جديدة بالتأكيد ، ولكنها في هذه المرحلة اكثر الحاحاً لانه على طريقة طرحها والاجابة عنها تتوقف مصائر شعوب وقارات . ولئن لم يكن لطرح هذه المسائل موضع في هذه الدرسة الا انه من الواجب التأكيد على جدلية العلاقة بين جركات التحرر الوطني في بلدان العالم الثالث من جهة ، وبين المعسكر الاشتراكي من جهة اخرى . وانه بمقدار

ما تتحول هـذه الحركات الى ثورات حقيقية ضد الامبريالية قادرة على هز هاوتفجير تناقضاتها الداخلية ، فان هذا يدعم نضال المعسكر الاشتراكي في صراعه مع الامبريالية. كما انه بمقدار ما يتوحـد المعسكر الاشتراكي وتتعزز مواقعه ويصبح في مركز اقوى في صراعه مع الامبريالية ،فان هذا يدعم مواقع حركات التحرر الوطني ويوفر لها المساندة والدعم سياسياً واقتصادياً وعسكرياً ، كما حدث بالفعل في اكثر من حركة حاسمة خاضتها هذه الحركات ضد الامبريالية العالمية في كوبا وفيتنام والمشرق العربي .

ان سقوط الامبريالية ، اعلى مرحل الرأسمالية ، اذاكان حتمية يقود اليها التطور الموضوعي لحركة التاريخ ، فان تحقق الحتمية ايضاً رهن وحـدة المعسكر الاشتراكي وتنامي قواه الاقتصادية والعسكرية وتضامنه الوثيق مع سائر القوى الوطنية والتقدمية المعادية للامبريالية وان الاعتراف بهـذه الحقيقة ووضعها في صلب استراتيجية النضال كمعطاة اساسية والكفاح انطلاقاً منها كفيل بتحقيق انتصار هذا النضال على اعدائه الامبرياليين . ان الصراع مع الامبريالية العالمية مايزال معركة طويلة الأمد .فالامبريالية ماتزال قوية شرسة قادرة على التحدي الكبير وتوجيه ضربات حاسمة ، والانتصار عليها لايمكن ان يتم الا عبر معارك دائمة وسلسلة من المواجهات الفاصلة لاتوقف فيها ولا هوادة .

— ٦ —

سبق ان ذكرنا ان المطلوب من جميع فصائل حركة التحرر الوطني العربية مراجعة شاملة جادة لحسابات النضال العربي كي تستطيع هذه الفصائل الدخول في مرحلة تحول حاسمة تضعها على مستوى التحديات التي تواجهها . وأشرنا الى أن جوهر هذه المراجعة يجب أن يتم في ضوء ادراك كامل مسؤول للعلاقة الجدلية بين الاهداف الاساسية المتلاحمة للقضية العربية وهي الوحـدة والحرية والاشتراكية وبين المعطيات الرئيسية للظروف الموضوعية التي يجري ضمنها هذا النضال وأوضحنا المعطاة الاولى وهي الوضع الراهن للنضال العالمي ضد الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الاميركية . أما المعطاة الثانية فهي الظروف الموضوعية للتطور الاقتصادي الاجتماعي للمجتمعات العربية، هذه الظروف التي يمارس من خلالها النضال العربي .

تعتبر البلدان العربية جزءاً من العالم الثالث. ويقصد بالعالم الثالث البلدان المتخلفة



إقتصادياً واجتماعياً والواقعة خارج نطاق المعسكر الاشتراكي وكذلك خارج نطاق العالم الرأسمالي المتقدم ولكنها خاضعة للسوق الرأسمالية ولنهب ثرواتها التي تتألف من المواد الاولية من قبل هذا العالم الرأسمالي . ويقاس التخلف عادة بمتوسط دخل الفرد بالنسبة الى متوسط دخل الفرد في الولايات المتحدة الاميركية واوربا الغربية والشمالية.والبلدان العربية الى جانب اشتراكها جميعاًبصفة التخلف الا أنها متفاوتة أيضاً في درجةتطورها الاقتصادي – الاجتماعي . وتلعب البنية الاقتصادية – الاجتماعية للمجتمعات العربية دوراً حاسماً في تحديد البنية الطبقية لفصائل حركة التحرر الوطني العربية .

ويمكن تصنيف هذه المجتمعات على النحو التالي :

١ – مجتمعات اقطاعية عشائرية ذات أنظمة اوتوقراطية .

٢ – مجتمعات بورجوازية اقطاعية ذات أنظمة ليرالية .

٣ – مجتمعات زراعية ذات أنظمة وطنية .

٤ – مجتمعات زراعية نامية لذات أنظمة وطنية تقدمية .

ان هذا التصنيف التقريبي للمجتمعات العربية يؤكد عدة وقائع أساسية :

١ – غياب الطبقة العاملة الصناعية الحديثة بوجه الاجمال في معظم المجتمعات العربية

٢ – القاعدة الاجتماعية الاساسية هي الجماهير الفلاحية المسحوقة المنتشرة في الارياف .

٣ – البورجوازية المحلية هي بورجوازية ذات مصالح مرتبطة بالسوق الرأسمالية العالمية .

تضاف اليها بورجوازية مالية ثرية في الاقطار المنتجة للمواد الاولية (النفط).

٤ – جماهير المدن تتألف من طبقة عاملة صناعية ناشئة وفئات من الحرفيين وصغار الكسبة والموظفين والمثقفين بالإضافة الى شرائح من البيروقراطية العليا والبورجوازية الوسطى والصغيرة .

ان هذه الوقائع تؤكد أن النضال الوطني تقوده على العموم في معظم هذه المجتمعات البورجوازيات الوسطى والصغيرة وشرائح من المثقفين والموظفين والحرفيين والجنود والضباط . وهذه الطبقات والفئات هي المؤهلة تاريخياً من خلال هذا الواقع الاقتصادي – الاجتماعي للقيادة السياسية ومنها يتألف معظم القيادات إن لم نقل كلها .



ان أهمية التوكيد على البنية الاقتصادية – الاجتماعية بالنسبة الى النضال الوطني ناشئة عن ان هذه البنية هي العامل الموضوعي في تطور هذا النضال . وما لم تكن هذه البنية متطورة الى درجة تسمح بظهور الطبقة الاجتماعية الثورية وهي الطبقة العاملة الصناعية فان الجماهير المسحوقة تظل غير قادرة على فرز حزبها السياسي الثوري المعبر عن مصالحها والقادر على قيادتها .

ان القيادات الراهنة تمثل مرحلياً الحركات الوطنية ذات الآفاق التقدمية والاشتراكية المطالبة بان تكون بالفعل حركات وطنية تقدمية وان تقود التطور لخلق الشروط الاقتصادية – الاجتماعية للانتقال الى الاشتراكية . ولكن الى أي مدى يمكن ان تفعل ذلك ؟.

– ٧ –

ان هذه البنية الاقتصادية – الاجتماعية للمجتمعات العربية التي اشرنا اليها آنفاً تقود الى محاولة تحديد واقع فصائل حركة التحرر الوطني العربية وممارستها وآفاقها النضالية . وهذا التحديد يغدو اكثر يسراً في ضوء معرفتنا لواقع هذه البنية

يثبت التطور الموضوعي لواقع المجتمعات العربية ان البرجوازيات العربية المحلية لم تعجز فحسب عن اداء مهمتها في تصفية الاقطاع والانتقال الى العلاقات الرأسمالية وانما ظلت بورجوازيات محلية متخلفة ومرتبطة بالسوق الرأسمالية العالمية . لقد كان المفروض في حال تصفية الاقطاع ونشوء علاقات رأسمالية عربية ان تصفى التجزئة سياسياً واقتصادياً لحساب سوق رأسمالية عربية موحدة. غير ان انعدام الصفة « الوطنية » عند هذه البرجوازيات المحلية وارتباط مصالحها الاقتصادية بالتجزئة وبالسوق الرأسمالية ، جعل حركات التحرر الوطني العربية تتصدى للقيام بالدور الذي لم تلعبه البورجوازية الوطنية ، أي انجاز الاستقلال السياسي والشروع في التنمية الاقتصادية . وهذان الهدفان ما زال يتصدران برامج حركات التحرر الوطني العربية، ويعبر عنها بشعاري الحرية والاشتراكية الذين يرمزان الى تطلعات أوسع وأكثر جذرية . وظل شعار الوحده العربية غائباً عن معظم هذه الحركات . ويعتبر حزب البعث العربي الاشتراكي الفصيلة الأهم من فصائل حركة التحرر الوطني العربية التي طرحت منذ نشوئها في مطلع الاربعينيات شعار الوحدة العربية وربطته بشعاري الحرية والاشتراكية



واعتبرت هذه الشعارات الثلاثة وحدة متلاحمة. بل ان الحزب في البدايات الأولى لنضاله أكد على أولوية الوحدة العربية في محاولة لمواجهة جميع التحديات الداخلية والخارجية المعادية للوحدة العربية والقومية العربية كتعبير عن هوية واحدة للجماهير العربية من المحيط الى الخليج .

ويمكن أن نقرر كواقعة تاريخية أن الوحدة العربية ظلت غائبة كهدف من أفق حركات التحرر الوطني باستثناء حزب البعث العربي الاشتراكي في السنوات العشر التي أعقبت الحرب العالمية الثانية أي حتى عام ١٩٥٥ .

أما بالنسبة الى البنية الاجتماعية ـ الاقتصادية لهذه الحركات فيمكن القول على وجه العموم أنها غير محددة طبقياً فهي تضم جماهير فلاحية فقيرة وملاكين صغاراً ومتوسطين في الأرياف وشرائح محدودة من العمال والحرفيين وصغار الموظفين واصحاب المهن الحرة والطلاب والمثقفين في المدن . وقد دخلت حركات التحرر الوطني هذه في صراع ضد تحالف الاقطاع والبورجوازية من أجل الاستقلال والتقدم الاجتماعي والاقتصادي في المشرق العربي ، في حين اتخذ هذا الصراع في الاقطار العربية الأخرى طابع كفاح مباشر ضد الاحتلال الاجنبي وعملائه من الحكام المحليين .

ويمكن اعتبار قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر بقيادة جمال عبد الناصر وطرحها لشعارات الاستقلال الوطني والحياد الايجابي والتقدم الاجتماعي والاقتصادي وتلاقيها منذ عام ١٩٥٥ مع النضال الوطني والتقدمي الذي كان يقوده حزب البعث العربي الاشتراكي في القطر العربي السوري خاصة نقطة الانطلاق الكبيرة لحركة التحرر الوطني العربية في الوطن العربي كله . لقد أدت هذه الانطلاقة الى مواقف جريئة وحاسمة ضد الاستعمار والامبريالية واسرائيل وضد تحالف الاقطاع والبورجوازية في الداخل ، توجت بوحدة عام ١٩٥٨ . كما أدت الى انتصارات مماثلة في عدد من الاقطار العربية ضد الاحتلال وأنظمة العمالة والرجعية والى قيام أنظمة وطنية ذات آفاق تقدمية اشتراكية (العراق ، اليمن ، الجزائر) .

ويتميز الوضع العام لنضال حركات التحرر الوطني العربية منذ ايلول ١٩٦١ وحتى عام ١٩٧١ بالسمات التالية :



– انعزال نضال هذه الحركات داخل اقطارها وعدم دخولها في جبهة نضال موحدة ايديولوجياً وسياسياً ضد اعدائها الداخليين والخارجيين .

– تركيزها على هدفي التحرر السياسي والتقدم الاقتصادي دون تركيز بمقدار مماثل على الوحدة العربية كمطلب مباشر وفوري .

– تعرضها لهجمة شرسة من قبل الامبريالية الاميركية تستهدف اسقاطها واعادة أنظمة العمالة والرجعية السياسية والاجتماعية والاقتصادية الى السلطة واستخدام اسرائيل كأداة رئيسية في هذا المخطط .

– عدم قيام جبهات وطنية في الداخل قادرة على اعطاء السلطة الوطنية التقدمية أوسع قاعدة جماهيرية ممكنة لمواجهة اعدائها .

– انتقال هذه الحركات الى موقف المدافع أمام الامبريالية والصهيونية والرجعية بدءاً من عدوان حزيران ١٩٦٧ .

– ٨ –

من هذا الاستعراض السريع لواقع حركات التحرر الوطني العربية ومعطياته الأساسية يمكن أن نتوصل الى الملاحظات الهامة التالية :

١ – تتعرض حركة التحرر الوطني العربية بمعظم فصائلها الى هجمة امبريالية تستهدف اخضاعها وتصفيتها كحركات وطنية وتقدمية . وهذه الهجمة جزء من الهجمة الامبريالية الاميركية ضد حركات التحرر الوطني في العالم الثالث .

٢ – لاتؤلف فصائل حركة التحرر الوطني العربية جبهة موحدة ايديولوجياً وسياسياً ونضالياً .

٣ – ليس عند معظم هذه الحركات برنامج محدد وشامل من أجل تحقيق خطوات وحدوية على صعيد الاقطار العربية .

٤ – البنية الطبقية لهذه الحركات لاتستند الى قواعد جماهيرية عمالية فلاحية واسعة ومنظمة .

٥ – لم تحدد هذه الحركات علاقتها بصورة واضحة ونهائية مع جبهة النضال العالمي ضد الامبريالية .

٦ – تواجه هذه الحركات نشاطات متزايدة للرجعيات المحلية متساندة مع الهجمة الامبريالية .

٧ – يتعرض ابرز قطرين عربيين ممثلين لحركة التحرر الوطني العربية وهما مصر وسورية لتحد بالغ الخطورة يتمثل في نتائج حرب حزيران ومحاولة الامبريالية الاميركية واسرائيل فرض واقع الوجود الاسرائيلي العدواني على الارض العربية .

فاذا كانت هذه هي الخطوط العامة لواقع حركات التحرر الوطني العربية ، فان السؤال الذي يفرض نفسه ويكاد مستقبل النضال العربي كله يتقرر في ضوء الاجابة عنه هو :

– ماهي الشروط الذاتية والموضوعية المطلوب توافرها (نظرياً على الأقل) كي تستطيع فصائل حركة التحرر الوطني العربية مواجهة التحديات الخطيرة المفروضة عليها والتي تستهدف وجودها بالأساس ؟

١ – المعركة التي تخوضها فصائل حركات التحرر الوطني العربيـــة ضد الامبريالية العالمية واسرائيل معركة طويلة الأمد ذات أبعاد تاريخية مرتبطة بالنضال العالمي ضد الامبريالية ولا يمكن حسمها في معركة واحدة أو سلسلة معارك خلال مرحلة تاريخية قابلة للتحديد . وان فقدان هذا المنظور العالمي ببعده التاريخي يوقع القضية العربية في مآزق تاريخية تهددها بالنكسات والهزائم الخطيرة .

٢ – العلاقة بين أهداف القضية العربية علاقة جدلية وأي فصم لهذه العلاقة يحول النضال العربي في افضل الظروف الى حركات تحرر وطني محلية غير قـادرة على مواجهة حاسمة مع الأعداء الامبرياليين والاسرائليين ، وبصورة خاصة هدف الوحـــدة العربية الذي يجب أن يدفع الى الأمام وينظر الى النضال العربي كله من خـلاله .

٣ – تصفية علاقات الاستغلال في المجتمعات العربيـة وتعميق التحولات الاقتصادية – الاجتماعية باتجاه اقامة علاقات اشتراكية هو الشرط الموضوعي الذي يعطي النضال العربي مضمونه الجماهيري وزخمه الثوري .





٤ - تنظيم الجماهير العربية وتعبئتها واعطاؤها دورها الأساسي في قيادة المجتمع من خلال جبهات وطنية تضم العناصر الأكثر وعياً وجرأة وقدرة على النضال .

٥ - وضع ميثاق وطني عربي يضم جميع فصائل حركة التحرر الوطني العربية وتشكيل قيادة سياسية موحدة لهذه الفصائل ، كل ذلك من خلال حوار إيجابي بينها يضع في المقام الأول من الاعتبار خطورة التحديات الراهنة وما يتهدد قضية التحرر العربي من نكسات .

٦ - اعتبار القضية الفلسطينية نقطة التناقض الرئيسية الحاسمة في الصراع بين حركة التحرر الوطني العربية بجميع فصائلها وبين الامبرياليين الاميركين وحلفائهم الاسرائيليين، وانه بمقدار انتصار حركة التحرر الوطني العربية في صراعها مع الاسرائيليين وحلفائهم الاميركين ، يقاس تقدم القضية العربية كلها ، لأن القضية الفلسطينية تجسد التحدي الامبريالي باقوى اشكاله وأعنفها ، ولا مجال لتحقيق انتصار جدي وحاسم على التحديات الامبريالية إلا في نطاق القضية الفلسطينية .

٧ - ان تعميق الصراع العربي الاسرائيلي والنظر اليه من خلال المعركة ضد الامبريالية العالمية ووضع جميع الامكانات العربية بشرياً واقتصادياً وعسكرياً في خدمة هذا الصراع محلياً وعربياً ، يؤدي الى فرز طبقي للقوى الاجتماعية والاقتصادية . فالسلم هو في مصلحة الطبقات التي تريد الغاء الصراع ضد الامبريالية وتحقيق « ازدهار » اقتصادي تستطيع في ظله مواصلة الاستغلال وتكديس الثروات والتمتع بالرفاهية والاستهلاك ولو على حساب الوجود العربي كله ، في حين ان مواصلة الصراع هو هدف الجماهير العربية الفقيرة التي لا يفقدها التقشف والعيش في ظل الكفاح أية امتيازات بل يدفعها الى الأمام لتلعب دورها الأساسي في التحرر والتقدم اللذين تتركز حولها مصالحها الأساسية .



لقد كان القطر العربي السوري أول دولة عربية حققت استقلالها السياسي وتحررها من الاحتلال الاجنبي (١٩٤٦) . وفي هذا القطر ظهرت أبرز فصائل حركة التحرر الوطني العربية التي جسدت في منطلقاتها النظرية وفي ممارساتها النضالية قضية الثورة العربية بشعاراتها الأساسية في الوحدة والحرية والاشتراكية ، ألا وهي حزب البعث العربي الاشتراكي . ولم يكد ينقضي عامان على هذا الاستقلال حتى فوجئت القضية العربية بالمؤامرة الاستعمارية الكبرى ألا وهي اقامة دولة اسرائيل ، وكان القطر العربي السوري أول فصائل حركة التحرر الوطني العربية المخاطبة بهذا التحدي . وقد كان هذا التحدي وما يزال محور نضاله . وقد أتاح قيام ثورة ٢٣ يوليو الوطنية في مصر بقيادة جمال عبد الناصر وتحولاتها العربية والتقدمية ان يصبح القطران مصر وسورية الركيزتين الاساسيتين لا للكفاح ضد اسرائيل فحسب وانما لجميع قوى التحرر الوطني في الوطن العربي كله . وعلى الرغم من الانتصارات الوطنية والتقدمية التي تحققت في اقطار عربية أخرى ، ما يزال هذان القطران بما يمثلانه من امكانات بشرية واقتصادية وعسكرية ومن تجسيد لمنطلقات القضية العربية وأهدافها ، الركيزتين الاساسيتين اللتين يتوقف عليهما مواجهة التحديات الكبرى المفروضة على الجماهير العربية كلها . وأية اقطار عربية اخرى أو حركات تحرر وطنية عربية لا يمكن ان تلعب في المعركة الرئيسية التي تمثلها القضية الفلسطينية غير دور المساند لنضالها . وان اية استراتيجية عربية للتحرر الوطني والتقدم في ظل الكفاح ضد الامبريالية لا تضع هذين القطرين كحجر زاوية في هذا الكفاح لا بد وان تسقط في الانفصالية وتخرج عن سياق النضال العربي العام من أجل اهداف القضية العربية ، وان تصبح بالتالي عاجزة في التحليل الاخير عن بناء قضية الحريه والاشتراكية . ان وقائع النضال العربي قد أثبت من خلال تاريخ اكثر من ربع قرن ان تحرر هذين القطرين مصر وسورية كان منطلق تحرر الاقطار العربية الاخرى . وما تزال الوقائع تؤكد هذه الحقيقة . ان هذين القطرين يؤلفان القاعدة الاستراتيجية التي تربط بين جناحي الوطن العربي في المشرق والمغرب ، والمؤهلة لكي تقوم من حولها لا وحدة النضال العربي فحسب وانما الوحدة العربية نفسها . ان حركات التحرر الوطني العربية مرتبطة موضوعياً وتاريخياً اذا كانت حركات تحرر وطني عربية حقيقية ، بهذه القاعدة الاستراتيجية الضخمة . وجميع المخططات الامبريالية والاسرائيلية كانت



وما تزال ترمي الى فصم هذا الارتباط الاستراتيجي بين اقطار القوى الوطنية العربية وبين هذين القطرين . وبمقدار ما كان هذا الارتباط يتعزز كانت المخططات الامبريالية تستميت في محاولات فصمه بمختلف الأشكال والأساليب مستغلة جميع الظروف المتاحة .

واذا كان هذا صحيحاً بالنسبة الى الاقطار العربية من جهةوهذين القطرين سورية ومصر من جهة اخرى ، فانه صحيح ايضاً بالنسبة الى وحدة هذين القطرين بالذات . ان وحدة عام ١٩٥٨ الاندماجية بينهما تمثل قفزة نوعية في النضال العربي قد لايسمح التاريخ بتحقيق مثيل لها في مستقبل منظور بين قطرين عربيين . ولهذا تركزت ضراوة المخططات الاستعمارية لفصمها بانفصال ايلول عام ١٩٦١ . انها تجربة رائدة حقيقية تؤلف خطوةمتقدمة كبرى على طريق انتصار النضال العربي ، رغم كل ماحملته من سلبيات داخلية ، واستيعاب هذه التجربة لايمكن ان يتم بالقفز من فوقها بخطوات مقصرة عنها وانما بخطوات اكثر رسوخاً وصلابة على طريقها . ان اهمية وحدة عام ١٩٥٨ لاتتحدد فقط في انها أقامت دولة عربية واحدة بين قطرين عربيين وانما أيضاً من خلال الظروف التاريخية التي قامت فيها . فقد جاءت تتويجاً لنضال عربي جماهيري كاسح ضد الاحلاف الاستعمارية والعدوان الثلاثي خاضه القطران ومن ورائها الجماهير العربية كلها . كما جاءت في الداخل نتيجة لانتصارات حاسمة على الرجعية المحليةوقوى التآمر والخيانة . هكذا كانت تعبيراً عن التلاحم العميق بين اهداف القضية العربية الثلاثة في الوحدة والحرية والاشتراكية ، وليست مجرد خطوة وحدوية معزولةعنالنضال التحرري ضد الامبريالية واسرائيل وعن النضال الداخلي ضد اعداء التحرر والتقدم . ومن هنا فان اية خطوة وحدوية لاتستمد اهميتها من كونها مجرد انجاز وحدوي فحسب وانما من خلال الأفق التاريخي الذي تتحقق ضمنه ومن خلال الادوات التي تحققها ألا وهي الجماهير العربية وطلائعها العقائدية المنظمة الملتزمة باهداف القضية العربية . وانها لدلالة كبيرة انيكونسقوط وحدة عام ١٩٥٨ في ايلول ١٩٦١ بداية الهجمة الامبريالية التي بلغت أوجها في حرب حزيران عام ١٩٦٧ والتي ما تزال مستمرة حتى هذا التاريخ .

ويمكن أن نقسم المخطط الامبريالي الصهيوني ضد حركة التحرر الوطني العربية في الفترة بين عامي ١٩٦١ – ١٩٧١ الى مرحلتين : مرحلة ١٩٦١ – ١٩٦٧ وفيها جرى التركيز على عزل الأقطار العربية التي انتصرت فيها قوى التحرر الوطنيبعضها



عن بعض ، تحت شعار تحقيق تطور داخلي – سياسي – اجتماعي – اقتصادي مستقل ، أي اسقاط شعار الوحدة العربية كهدف مرتبط جدلياً بهدفي التحرر والتقدم . ومرحلة ١٩٦٧ – ١٩٧١ وفيها انتقلت الامبريالية الى مرحلة الهجوم السياسي تحت ضغط واقع الاحتلال الاسرائيلي لتصفية التجرر الوطني وذلك بعزله عن النضال العالمي من جهة ؛ وفرض الاستسلام عليه للامبريالية الاميركية باسم حل « مشكلة الشرق الاوسط » . وكانت تصفية قوى المقاومة الفلسطينية في ايلول الاسود ١٩٦٩ وتحويل الاردن الى نظام سايغوني عميل يقف مع العدو في خط المواجهة ويشكل مخافره الأمامية ، بداية هذه المرحلة الثانية .

ان الحقيقة التي تفرض نفسها اليوم أكثر من أي وقت مضى هي ان اية مواجهة جادة للتحديات الامبريالية الاسرائيلية الراهنة تقوم بها فصائل حركة التحرر الوطني العربية في جميع أقطارها ، لايمكن ان تتم الا من خلال الركيزتين الاساسيتين للنضال العربي وهما مصر وسورية . وليس ثمة أي خيار آخر ، سوى اختيار الهزيمة . ان قوى التحرر الوطني العربية مطالبة بان تقف وراءهما كقوى دافعة الى الامام للالتحام مساندة لكفاحها ، وليس كقوى جاذبة الى الوراء ، نابذة لهذا التلاحم مشككة في هذا الكفاح . ان مواجهة التحديات الراهنة اذا كانت مباشرة مسؤولية القطرين مصر وسورية فانها بالأساس مسؤولية جميع قوى التحرر الوطني العربية . ولا يمكن ان تتم هذه المواجهة على المستوى المطلوب إلا في ضوء المعطيات الأساسية للوضع الراهن التي سبق ان أشرنا اليها التي تفرض الاستراتيجية التالية :

١ – اعتبار مصر وسورية حجر الزاوية في الكفاح ضد الامبريالية والصهيونية .

٢ – تلاحم القطرين على أعمق المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية .

٣ – مساندة قوى التحرر العربي لها مساندة مطلقة فعالة وتعزيز صمودهما على جميع المستويات .

٤ ـ متابعة التحولات الاقتصادية ـ الاجتماعية في القطرين وتعميقها بما يكفل تحرير الجماهير من الاستغلال وشروط التخلف .

٥ ـ تعبئة القوى الوطنية في الداخل في إطار جبهة وطنية تقدمية صلبة وتصفية التحركات الرجعية .

٦ ـ التضامن الفعال مع النضال العالمي ضد الامبريالية واعتبار التحديات الراهنة جزءاً من المعركة التاريخية الطويلة الأمد ضد الامبريالية وحليفتها الصهيونية .

٧ ـ اعتبار الصمود السياسي والعسكري والاقتصادي مهما كان طويل المدى نقطة البداية الحاسمة في مواجهة التحديات والانتصار عليها ورفض جميع الحلول والسياسات والاجراءات التي تضعف هذا الصمود وتقدم له حلولاً زائفة مهما كان مصدرها .

ان الحديث عن أية استراتيجية للصمود والكفاح ، مهما كان جاداً وموضوعياً ومنطلقاً من تحليلات علمية ، يظل ثرثرة وتطلعات ذاتية ، اذا لم يكن صادراً عن قوى قائمة في قلب الواقع الراهن قادرة على الفعل فيه . وبهذا المعنى فان أية مراجعات لحسابات النضال العربي يجب ان تصدر بالأساس عن القوى الوطنية المعنية التي تحمل مسؤوليات قيادية طليعية في الوطن العربي كله . ان الهزائم التي يمكن ان تمنى بهاالقضايا الكبرى ليست دوماً نتيجة لنقص في الوعي وعدم القدرة على تحليل الأوضاع الراهنة واستشراف المستقبل بقدر ماهي نتيجة لعدم التطابق بين الوعي وبين الأدوات الموضوعية للكفاح . الأدوات الموضوعية هي تاريخياً الجماهير الواسعة الفقيرةالمضطهدة التي تمثل طلائعها الثورية قمة وعيها لقضيتها . والمطلوب دوماً هو التطابق في الوعي والنضال بين الجماهير وبين طلائعها . والمأزق التاريخي الحقيقي الذي يمكن ان تمر به قضية ثورية ليس ضخامة التحديات التي تواجهها ، فلكل قضية كبرى تحديات على



دراسات في القومية العربية

مستواها ، وانما انفصال وعي الطلائع عن وعي الجماهير ، هذا الوعي الذي هو بالأساس وعي لمصالح طبقية معينة . ان المراجعة المطلوبة لحسابات النضال العربي هي مراجعة داخلية من قبل جميع فصائل حركة التحرر الوطني العربية لوعيها ولبنيتها الطبقية ولمقدار التطابق بين هذا الوعي وبين هذه البنية أو البنى . وبمقدار ماتكون هذه المراجعة جادة وموضوعية يمكن وضع استراتيجية الكفاح موضع التنفيذ . ان المطلوب الحقيقي هو اعادة بناء وحدة الطلائع الثورية العربية ووحده هذه الطلائع مع الجماهير . وبدون هذا لايمكن ان تتوافر الأدوات الموضوعية لمواجهة التحديات على المستوى الذي تتطلبه هذه المواجهة التي تأخذ في المرحلة الراهنة أخطر أشكالها .

جلال فاروق الشريف

تشرين الأول
١٩٧٢

منشورات



تونس 2001